صورة ... بلا خبر

مع الذكرى العاشرة لاتفاق الطائف، لا تخلو صحيفة أو محطة إذاعية أو تلفزيونية من وقفة سريعة أو مطوّلة امام مسيرة السنين العشر، تقويماً للمحصلة واستشرافاً للآتي.

وهذا حسن. فتح ملفات ما بعد الطائف يغني الحياة السياسية، ويرتفع بها عن مستوى اللحظة العابرة. ذلك ان لبنان، على ما يعرف الحكماء، تسوية بين مكوناته ينبغي ان تتجدد، والميثاق الوطني ليس اتفاقاً جامداً، بل عقد يجري التوافق حوله على الدوام.

ولكن، بمقدار ما نبدي اغتباطاً لفتح هذه الملفات، بمقدار ما نبدي استهجاناً لإغلاق متعسف وموجع وظالم لملف هو الأكثر إيلاماً والأوسع مدى: ملف المخطوفين والمفقودين.

١٧ ألف مخطوف يشكّلون، وعيالهم، نحو مئة ألف لبناني يمضون الليالي في الانتظار.

جميع اللبنانيين عادوا إلى منازلهم، يوم عادت الحرب إلى كهوفها، ما خلا الشهداء وهؤلاء. الشهداء ذهبوا إلى حيث نزور مراقدهم داعين لهم بالرحمة، وهؤلاء إلى الفراغ.

لكل فتى أو فتاة أب حي، أو متوف، أو مسافر. إلا فتيان هؤلاء. فآباؤهم في منزلة خارج كل المنازل.

كل لبنانية، هي عذراء أو متزوجة أو أرملة أو مطلقة، إلا نساؤهم، فهن متزوجات، ولسن أرملات، ولسن مطلّقات، بل نساء أزواج لم يعودوا أحياء، ولم يقيدوا أمواتاً.

آباء خياليون، في الذاكرة، آباء غائبون، أو في الغيب.

آباء لا يزورون عيالهم، ولا يزارون في أي مكان في الدنيا.

آباء كفّوا عن أن يكونوا آباء، دون أن يصيروا شيئاً آخر.

آباء صاروا فكرة، أو خبراً أو صورة.

آباء إذا بكيتهم، حسبوا أنك تندب أمواتاً، وما هم بأموات، وإذا تجلّدت حسبوا أنك تنتظر إياب الأحياء، وما هم بأحياء.

آباء أسطوريون، شخوص في حكاية خرافية.

●●●

الأمر صار مخزياً ومجلبة للعار. عار على البلاد كلها، أن تدفن بعض أبنائها في الذاكرة، وما هم مدفونون في التراب.

عار على مجتمع بكامله أن يتنصّل من مسؤوليته، ويغسل يديه مدّعياً البراءة.

نحن جميعنا، صنعنا الحرب، وصُنعت بنا.

وهؤلاء الـ ١٧ ألفاً، من ثمار الجنون الأحمق. لم يغيبوا في رحلة مدرسية، بل ثمة من خطفهم وغيّبهم، وهو مسؤول.

نحن مسؤولون عن إبلاغ أهاليهم بما حلّ بهم،

جميعنا، كل شرائح هذا المجتمع الذي تذابح بوحشية، مسؤول.

دولة الطائف، أولاً.

وأحزاب الحرب، ثانياً.

مسؤولون عن احتضان القضية، وإجلاء الغموض، ورعاية الأسر.

يجب أن يصدر موقف رسمي نهائي يغلق الملف، ويتحمّل تبعاته القانونية والأدبية والمادية.

يجب أن يرتاح ١٧ ألف لبناني في مكان ما بين الحياة والموت.

●●●

قضية المخطوفين، عندي، قضية وشخص في آن. قضية في حجم لبنان، وشخص في حجم حبي وحب وداد وزياد وغسان: عدنان حلواني.

فكيف نعود الى المخادع، وعدنان لم يتصل بعد؟

جورج ناصيف